أصدقاء ناجي نعمان

Les amis de naji Naaman

los amigos de naji naaman

naji naaman's friends

ريمون عازار

عبورٌ
إلى البَهاء

دار نعمان للثقافة

مقدِّمة
سيادة المِطران جورج خضر

عند العارِفين السَّفَرُ ضَربٌ من ضروب الكشف عمَّا استسَرَّ في الكون والكائن، وإذ ذاك تكونُ تسميةُ "قصائد" تمتماتُ القَصد المَكنون في الوجود، على الشَّاعر مهمَّةُ الكشف عنها.

في ديوانه هذا يستهلُّ ريمون عازار مجموعتَه الشِّعريَّة "القصائد العلامات"، يترصَّدُ اللُّمعَ المتنزِّلةَ عليه ويلتقطُ البارقةَ تلو الأخرى، يصطادُ المَكنوناتِ ويصوغُها علامات.

يجولُ في فضاءاتٍ عدَّة. لكنَّها مترابطة متراصَّة، تؤدِّي الواحدةُ بالضَّرورة إلى الأخرى، تجعلُ عملَه متكاملاً بمفـــرداته ورؤاه وهي أصـــداء وانعكـــاسات لبعضهـــا

البعض. دائرة النُّور والضِّياء والبَهاء لا يدخلُها الشَّاعرُ إلاَّ بالحبِّ، وهو عطاء، وعطاءٌ بعد العطاء حتَّى الفناء، ذلك المستحيل الذي يؤكِّدُ الشَّاعرُ أنَّه لا يتمُّ اختراقُه إلاَّ بالحبّ.

فضاءُ الحبِّ هذا، مجالُ الاختبار الإنسانيّ، جسدانيٌّ بلطفٍ وخَفَر، ولكنَّه سرعان ما ينطلقُ إلى آفاق أوسع ليمتزجَ بالمحبَّة وينطويَ فيها هربًا من اللَّمس، أي من الواقع ومن النَّثر. الشِّعرُ كما يحياه كلُّ شاعرٍ مكانُ ترجرجٍ عاطفيّ، إستيطيقيّ، مرهونٌ بالحواس. لكنَّ ريمون عازار يفرُّ من هذه التَّجربة نحو ما يتراءى له أنَّه أبهى وأبقى، يسمِّيه المستحيل أم هو الرَّجاء والخلاص.

"وسمعتُ من فوقُ السَّماءَ
تقولُ لي: ...
هي في الضِّياء،
وفي البَهاءِ
وفي الشَّذا،

هي زهرةٌ ملءُ الزَّمانِ،
فلا تُحدَّدُ في المكانِ
وموعدٌ في المُرتَجى
لكنَّه لا يُلمسُ".

الرُّؤى التي تتكشَّفُ للشَّاعر وتنزلُ عليه في كلِّ حواسِّه مجتمعة، السَّمع والنَّظر والشَّمّ – وإذا حسبنا اللُّغة الشِّعريَّة من باب الذَّوق باللِّسان – تكونُ الحواسُّ كلُّها قد اجتمعت واستثنى منها الشَّاعرُ اللَّمس.

الشَّاعرُ مَهووسٌ بـــ "الضَّوء"، مَشدودٌ إلى "البهاء"، مُنجذبٌ إلى "النُّور"، لا ينفصلُ هذا البتَّةَ عن الحبّ، لا بل إنَّ دائرةَ النُّور ودائرةَ الحبِّ مُتعانقتَين كضَوئَين لا يفترقان. العمليَّة الشِّعريَّة عنده مختبرٌ للعشق، وهو مقتحمُ الوجود حتَّى النَّفاذ إلى ما وراءه من نور خالص. وامتزاجُها واضحٌ في هذه الأبيات:

"أحبُّ فأغدو الوجودَ البَهيّ
ويُشرقُ نورٌ عظيمٌ عليّ
أحبُّ وأُعطي".

٥

ترصُّدُ المحبوب غير المُستَتِر، غيرِ الملموس، يجعلُ الشَّاعرَ كاهنَ المستحيل، سارقَ الشُّعلة الإلهيَّة. هو بانٍ "الوجود البَهي، وعليه يُشرقُ النُّور العظيم". سارقُ الشُّعلة هذا يقدِّم ذاته مكانًا لتجسُّدها لتغدو من خلاله تحويلاً في العالم.

"بدِّلي من حولنا القبحَ جمالاً
وانشري النُّورَ...
واستعيدي فسحةَ الوردِ...
أرجعي الدُّنيا إلى الحبِّ
إلى آلهة الحبِّ خُذينا
أطلقي أشرعةَ البحَّار فينا...
وأعيدي
مهرجانَ الشَّمس...
جدِّدي الدَّهشةَ فينا والسُّؤالا
واهرقي قارورةَ الطِّيبِ
فلولا قطراتُ الطِّيبِ
أضحينا رمالا..."

كأنِّي بالشَّاعر يتذكَّرُ أنْ *"ليس جيِّدًا أن يبقى وحدَه الإنسان"*. فيأخذُ من الرَّفيقة التي خلقَها الله به ومعه وله رسولةَ النُّور إلى العالم. حبُّه إيَّاها هو مكانُ الاختبار، والاختبارُ الشعريُّ عمليَّةُ تحوُّلٍ لا يستطيعُه إلاَّ الحبّ. وبذا تصبحُ المحبوبةُ هي صانعةُ المعجزة، حاملةً الوجود من القبح إلى البَهاء، مُبدِّلةً القباحة، دائسةً الموت.

يترجرجُ الشَّاعرُ بين الحبِّ الحسِّيِّ والمحبَّة المطلَقَة، لا يحاولُ الفصلَ بينهما، فهما واحدٌ في القلب الإنسانيّ. وللشَّاعر من مسيحيَّته صورٌ جمَّةٌ في هذا الدِّيوان تأتي من سياق الخلق منسابةً ومناسبةً لا إقحامَ فيها ولا اصطِناع.

هو يُفصحُ مُعلنًا:

"فلست بدون المحبَّة شَيًّا"

ويُقبلُ على الحبِّ مرتكزًا للمحبَّة من دون الفصل بينهما:

"أنا أعبرُ في عينَيكِ
من حبٍّ إلى حبٍّ أجدّ"

حبَّان عند ريمون عازار في هذا الدِّيوان: يصفُ الأوَّلَ في كلِّ المفردات المتداوَلَة عند العرب المُحدثين، وهي مفرداتٌ تفوقُ المئة عند الأقدمين: ففي قصيدة واحدة تجتمعُ الألفاظُ هذه: "هواك، الوداد، غرامي، شوقي، اضطرامي، حبِّي، هيامي، الوَجد".

يتفلَّتُ سريعًا من قبضة الوِجدان الحسِّيّ، ولو راحَ يغوصُ عليه في عددٍ من القصائد:

"لحظةٌ من حبِّك الغامر تُحييني
فتغدو اللَّحظةُ السَّمحاءُ دهرًا"

وأيضًا:

"يعودُ الكون، إن عُدتِ، انبهارًا"

إلاَّ أنَّ هدفَه هو النُّور؛ والحبُّ طريقٌ إليه.
يقول:

"وبعينَيها تجلَّى النُّور أرضًا وسماءً
وبها بَشَّرَنا الحبُّ لنحيا في رؤاه"

المرأة إذًا هي شريكتُه في الخَلق الشِّعريّ الذي من شأنه أن *"يحوِّل الأرضَ سماء"*. الشَّاعرُ كاهن، لكنَّ المرأة هي الأمُّ الوالدةُ لهذا الخَلق. تحضرُه صورةُ الخليقة الأولى:

"نضجت تفَّاحةُ الجنَّة
باحت وردةُ الإغراء
بالسِّرِّ العميقِ
فاقطفي ما شئتِ
فالعشَّاقُ أن يخترقوا الحُجبَ
وأن يستولدوا الأنوارَ
من رحم الحريقِ"

شاعرٌ مسيحيُّ الرُّوح فيما للَّذَّة طعمُ الوثنيَّة. إنَّها معاناةُ الشُّعراء ولذَّتهم في آن.

عند ريمون عازار تأكيدٌ على الحبِّ المخلِّص من العتمة؛ فبالحبِّ *"يغدو الوجودُ بهيًّا"*، و*"يملأ خيرُ السَّماء يدي"*، و*"تفتحُ الدُّروب"*، و*"تُغفَرُ الذُّنوب"*، و*"يعمُّ السَّلام"*، و*"تصبحُ أرضُ التَّمزُّق" "دارَ الخلود"*.

إنَّ الحبَّ الذي يدينُ به ريمون عازار في قصائده سرعانَ ما يستسلمُ للمحبَّة:

"أحبُّك مثل المحبَّة تعطي
ويبقى العطاء السَّخيُّ سخيًّا
ومثل صلاة تضوعُ ابتهالاً
فأُخطَفُ صوبَ السَّماء نبيًّا"

ولريمون عازار في ديوانه غير صورة إنجيليَّة وأكثر من ذكرى للآيات التي صنعَها السَّيِّدُ في البشريَّة، فهو يركِّزُ على حادثة تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل. ليس غريبًا، فالجمال والبهاء، والحبُّ والمحبَّة، ثالثهما خمرةٌ للجسد هي دمٌ للرُّوح.

فمن الإنجيل أنَّ السَّيِّدَ أعطانا ماءً للحياة لنشربَ ونحيا:

"ننادي العطاشَ تعالوا إليّ
تجودُ الحياةُ بماء الحياة"

ومن ذكرى الرَّسول بطرس، نكرانٌ ثلاثيّ:

١٠

"تذكَّرتُ أنِّي، قُبيل الصَّباح، كفرتُ ثلاثًا"

ومن مسح المجدليَّة قدمَي السَّيِّد بطيبٍ جزيل الثَّمن:

"اهرقي قارورةَ الطِّيب"...

ولعلَّ هذا الذَّوقَ الإنجيليَّ هو ما يفتحُ للشَّاعر فضاءَه الشِّعريَّ الثَّالثَ في هذا الدِّيوان، وهو مجالُ ترقية من المرأة إلى مريم، ومن الذُّكوريَّة الشِّعريَّة إلى الطُّفولة الإنسانيَّة، ومن لبنان المأساة إلى وطن الحبِّ والشِّعر، مكانِ الخلاص والرَّجاء.

وفي هذا الفضاء الثَّالث تأتي صورُه بأبهى حلَّة وموسيقاه في انسيابٍ بليغٍ واحتدامٍ صلاتيٍّ شعريٍّ حادّ.

الشَّاعرُ طفلٌ يتخلَّى عن ذكوريَّة فاعلة مخفقة في إحلال السَّلام، وليس عنده إلاَّ الحلم والاختباء في حضن المرأة الأمِّ الحياة.

"وأنا كالطِّفل خبَّأتُ ابتهالاتي بقبلة
وقطفتُ الأنجمَ الزُّرق

وضعتُ الشَّمسَ والبدر بسَلَّهْ
ونسجتُ الشِّعرَ والأنغامَ حَلَّهْ
واستبقتُ العيدَ أهدي
مَن هما حبِّي وهمِّي
زوجتي أمًّا
وأمِّي".

ومن الأمِّ والزَّوجة والمرأة ينظرُ الشَّاعرُ إلى فوق، إلى تلك التي اصطفاها الله على نساء العالمين، *"عين الله التي لا تغفو"*، وقد أعلنَها الله في إنجيله مختبرَ الحبِّ المحوِّل حوَّاء شفيعة. وبها اقتحمَ بابَ الأرض، وهدمَ حائطَ العداوة بين الله والخطيئة:

"تكلَّمي يا مريم
فتنتهي في أرضنا الآلامُ والخطوب
تشفَّعي يا مريم
فيستحيلَ الماءُ خمرًا في أجاجين الجنوب"

يلفتُه صمتُ مريم، ويستدركُ أنَّه ليس صمتًا غيرَ فاعِل،

فهي متشفِّعة في صمتها، وإنَّه، برغبتها، قامت أولى معجزات السَّيِّد حين حوَّل الماء خمرًا. لكنَّ أجاجين الجنوب لم تعد مليئةً بالماء، فهي مملوءةٌ من دم الشُّهداء والأطفال.

وكأنِّي بالشَّاعر يخبِّئ مأساتنا بخَفَر، فلا يقول "فيستحيل الدَّمُ خمرًا في أجاجين الجنوب".

ولعلَّ ذروةَ الدِّيوان هذا تتمثَّلُ في القصائد التي تتلقَّفُ لبنانَ بالصَّلاة والدُّعاء. ثمّ إنَّ ما يأتي من إلحاح على المعجزة إنَّما يوحي بأنَّ الشَّاعرَ يعيشُ حالَ لبنانَ مأساة، يستنجدُ الله:

"هل إلى قانا، مَسيحًا ستعود...
ذبحوا الأطفالَ، ظنّوا بعدَهم
سيسودُ العقم،
والإعصار تجتاحُ الدِّيارا
ما درَوا أنْ حبَّةَ الحنطة تغدو الخصب
في آنية الحُبِّ البِذارا"

وقد تكونُ أجملُ لوحة إيقونيَّة في هذا الدِّيوان هي الآتية:

"فإنَّما لبناننا علَيَّةٌ
وإنَّما عذراؤه حرِّيَّةٌ
تشعُّ في أرجائه
وتبتدي أزمنةُ الخلاص والرَّجاء"

إنَّها صورةُ العنصرة، حيث اجتمعَ الرُّسلُ إلى مريم وأتاهم الرُّوحُ القدس بصورة ألسنةٍ ناريَّةٍ وأعطاهم نعمةَ الكلام المُضيءِ غالب العتمات، المحرِّرِ من التَّبَعيَّة والخوف والحرف القاتل والمادَّة المظلمة.

إن كان للمسيح والمسيحيَّة وروح الحرِّيَّة التي هي بالحقِّ المحرِّر إذ يقولُ السَّيِّد: *"تعرفون الحقَّ والحقُّ يحرِّرُكم"*، من أثرٍ في الأدب العربيّ المعاصر، فهذا الدِّيوان فيه من "العلامات" الواضح، والمباشر.

فالشَّاعر، خلافًا للشُّعراء التَّمُّوزيِّين، لا يمزجُ أسطورةَ الفينيق والرَّمزَ التَّمُّوزيَّ بالمسيح المخلِّص.

ففيما كتب:

"فدعوا الفينيقَ يمضي...
جسَّدَ الفينيقُ للأجيال حلمًا
مستحيلاً... وتوارى"

نراه يستدعي المسيح، متجسِّدًا فاعلاً في قانا:

"لست أخشى
فيَدُ الرَّحمن أقوى
والفداءُ الحقُّ يهدينا السَّبيلا
فيعودون... وتأتي...
ويفرُّون... ونبقى...
نستعيدُ الشَّمسَ أنقى
نملأُ الأجرانَ في قانا مياهًا
فتحيل الماءَ خمرا
وتفيض التُّربةُ الحمراءُ أطفالاً وبشرى
تستفيق الأرض، نحياها، ونشقى
ليظلَّ الحقُّ في لبنانَ إشراقًا وخلقًا"

١٥

الحبُّ في البشرِ والعشقُ الإلهيُّ والإحساسُ بأعماق الوجود أتت إلينا بكلمات السِّحر التي ألَّفت هذا الدِّيوانَ لريمون عازار.

في ذرى الشِّعر

القصائِدُ العلامات

أبهى قصيده

ما هوَ الشِّعرُ؟ سألتِ،
ولمَن أبهى قصيده؟
مثلُكِ الشِّعرُ المصفَّى
كلَّما عاودتُهُ عادَ جديدا
مثلُكِ الشِّعرُ رؤًى لا تنتهي في الحرفِ
أو عَبرَ كهوفٍ لا تُضاءْ
مثلُكِ الشِّعرُ إذا لامستُهُ
أشعلَ اللَّمسُ مجرَّاتِ السَّماءْ.

فَهَبيني أنْ أغنِّي
منكِ بحرُ الشِّعرِ، والإبحارُ منِّي
واغرسيني في ترابِ الأمسِ
في الدُّنيا الجديدهْ
أنشدَ الخالقُ في البَدء، فكُنتِ
أوَّلَ الشِّعرِ، وفي أبهى قصيدهْ

لحظة في الخلد

أَتُرى قد كانَ حلمًا
أمْ لقاءً
أم أنا أعطيتُ للأشياءِ معنًى؟
أَتُرى عانقتُ جسمًا
أمْ تُرى لامستُ وَهما؟...

لستُ أدري
كلُّ ما أذكرُ أنِّي

صِرتُ وَمضًا
أعبُرُ الدُّنيا وأحيا
لحظةً في الخُلدِ
أو إنْ شئتِ
أَغنى.

٢٠

سنديانه

أنا سنديانهْ
أنا رمزُ شعبٍ
وقصَّةُ أرضٍ
أنا سنديانهْ.

وُلدتُ فكانَ انْبِلاجُ الزَّمانِ
وقلتُ أُحبُّ
فصارَ العطاءُ كياني
ترابي لِيُجبَلَ آدمُ منهُ
وفيَّ تجسَّدَ طيرُ الفنيقْ

أنا سنديانهْ
وتحتَ ظِلاليْ
استضاءَتْ شموسٌ
ومرَّ الطَّريقْ.

أنا سنديانهْ
جذورُ بلادي جذوري
فلا تَقطعوني
ولا تَنقلوني إلى أيِّ أرضٍ سواها
بلادي،
دَعوني هناكَ فأحيا
ويحيا ترابُ بلادي.

المحبَّة

أحبُّ فأغدو الوجودَ البَهيَّ
ويشرقُ نورٌ عظيمٌ عليَّ
أحبُّ وأُعطي، فيفرحُ قلبي
ويملأُ خيرُ السَّماء يديَّ
أحبُّ... أحبُّ...
وأبذلُ ذاتي
فلستُ بدون المحبَّة شَيَّا.

نحبُّ... فتُفتَحُ كلُّ الدُّروبِ
نحبُّ... فتُغفَرُ كلُّ الذُّنوبِ
تزولُ الحروبُ
وتُلغى الحدودُ
وتُصبحُ أرضُ التَّمَزُّقِ
دارَ الخلودِ.
نحبُّ...
تفيضُ الضِّفافُ
تُنادي العِطاشَ: تعالوا إليّ...
يحلُّ الرَّبيعُ النَّدِيُّ
ويبقى ربيعًا نَدِيًّا.
نحبُّ فتولدُ دنيا جديدهْ
وينهضُ كونٌ قديمٌ تعثَّرْ

٢٤

ويبزغُ فجرُ الوجود نقيًّا
يعودُ إلينا الزَّمانُ شَذِيًّا
نُصفِّى...
ونحيا الرَّجاءَ الكبيرَ...
ونكبرْ.

الفرح الأبهى

الفرح الأبهى

أَتُرى عيناكِ بعضٌ من أزلْ
أم رهانٌ...
كلَّما كانَ على الخُلدِ الرِّهانْ
أم بهاءٌ
يُبدعُ الدُّنيا إذا انهارَ الزَّمانْ.

كلَّما مِنْ خَلفِ أسوار الجسدْ
سَبَرَتْ عيناكِ أغواري العميقهْ

كنبيَّينِ يُضيئانِ مصابيحَ الحقيقهْ
فهنا نورٌ خفيٌّ
وارتماءٌ في الأبَدْ
وأنا أعبرُ في عينَيكِ
من حبٍّ إلى حبٍّ أجَدّْ.

ضوَّعَ الحبُّ الأزاهيرَ
هَلمِّي نقطفُ الشَّهدَ
فسرُّ الزَّهرِ
أنْ يُجنَى عبيرًا وأملْ
نستعيدُ الفرحَ الأبهى
ونغدو في تلاقينا على الشُّهبِ
شعاعًا وقُبَلْ.

ملء الز من

أُحبُّكِ مهما تناءَى الزَّمانُ
ومهما تأَنَّى
ومهما تعثَّرْ
أُحبُّكِ ملءَ الوجودِ وأكثرْ
وأمضي بحبِّكِ عبرَ السَّنينِ
كأنِّيَ أقوى
كأنِّيَ أكبَرْ.

أُحبُّكِ وِسعَ الضِّياءِ
فيبزُغُ منكِ الصَّباحُ بَهِيَّا
أُحبُّكِ وِسعَ الرَّجاءِ
فيبدو المساءُ القريبُ قَصِيَّا.

أُحبُّك بعدَ الرَّبيعِ ربيعًا
وبعدَ العشيَّةِ خبزًا وخمرًا
وبعدَ الخريفِ انتِظارًا لِوَعدٍ
جديدٍ وبُشرى

أُحبُّكِ مثلَ المحبَّةِ تُعطي
ويبقى العطاءُ السَّخيُّ سخيَّا
ومثلَ صلاةٍ تضوعُ ابتِهالاً
فأُخطَفُ صوبَ السَّماءِ نبيَّا.

أن نخترق الحجب

سائِليني
ما تُرى طعمُ الرَّحيقِ
ما تُرى طعمُ الهوى
في نهاياتِ الطَّريقِ
طعمُ جنَّاتٍ وأنهارٍ
وموتٍ مُستَطابٍ
في خميلاتِ المضيقِ
وانبعاثٌ ثمَّ موتٌ
وقياماتٌ

وتُتْلى قصَّةُ الإنسانِ
في العهدِ العتيقِ.

نَضَجَتْ تفَّاحةُ الجنَّةِ
باحَتْ وردةُ الإغراءِ
بالسِّرِّ العميقِ
فاقطفي ما شئتِ
فالعشَّاقُ أنْ يخترقوا الحُجْبَ
وأنْ يستولِدوا الأنوارَ
من رحمِ الحريقِ
نشوةٌ أنْ نزرعَ الدُّنيا
بأيدينا رياحينًا
ونحيا الخُلْدَ في الحبِّ الطَّليقِ.

فاملإي الكأسَ لتبقى
شَفَةُ الولهانِ ثملى
بالرَّحيقِ.

من أقا صي الجزر الرَّرقاء

ثغرُها سورةُ حُسنٍ
وابتهالاتُ إلَهْ
وبعينَيها تجلَّى النُّورُ أرضًا وسماءْ
وبها بشَّرَنا الحبُّ لنَحيا في رُؤاهْ

ويداها تُطلقانِ الغيبَ
أسفارًا وشطآنًا أُخَرْ
تسحرُ اللَّيلَ فَتَهمي

أنجمُ اللَّيلِ على الأرضِ قُبَلْ
ويصيرُ الجسدُ الآتي من الشَّرقِ صلاهْ
تنتهي الأبعادُ فيهِ
ويظلُّ الموعدُ الآتي صَداهْ.

أيُّ حلمٍ نَسَجَتْهُ ملكاتُ العالمِ السِّحريِّ
في برجِ القمرْ
أيُّ صوتٍ
من أقاصي الجزر الزَّرقاءِ يَدعونا
فيُمحى حولَنا كلُّ أَثَرْ
فاعبري الحلمَ بنا
لوِّني الأشياءَ بالأسرارِ
بالحسِّ الحجرْ

٣٤

لوِّنينا
فجمالُ الحبِّ
أنْ نحيا المرايا والصُّوَرْ.

سراب المشارق

أنطلبُ عطرًا
ونسحقُ وردهْ؟
وكيف نصيرُ مغولاً صغارا
ونسحقُ وردهْ؟

تهبُّ رياحُ الضَّلالِ
ونقبعُ خلفَ ظلامِ اللَّيالي
ونشهدُ غولاً مهولاً
يُهدِّمُ برجَ اللآلي.

ويصمتُ طيرٌ شجيٌّ
وترحلُ نحلَهْ.

عشقتُ الزَّنابقَ
فوقَ سرابِ المَشارقْ
وفوقَ رؤى المستحيلِ
لتبقى دروبي دروبَ الشَّقاءِ الجميلِ
وأحيا الصَّغيرَ المُراهِقْ
وقصَّةَ عاشِقْ.

وجاءَ زمانٌ
وحولي تعالى عويلُ السَّبايا
وضجَّةُ بابِلْ
ومرَّ زمانٌ

وحولي تُشادُ مذابحُ بَعلَ زبولٍ
وتُعلَنُ حربُ المَجاهِلْ
يُقَوَّضُ سقفُ السَّماواتِ فوقي
وتغدو النُّجومُ أوافِلْ
وأُسبى، فوجهي قناعٌ
ويوشمُ صدري بوَشمِ القبائِلْ.

وذاتَ هزيعٍ
شحذتُ يديَّ
لأذبحَ مثلَ الكواسِرِ وردهْ
ولكنَّ صوتًا أضاءَ سبيلي
فبدَّدَ لَيليَ بُعدًا فبُعدا
تذكَّرتُ أنِّي قُبَيلَ الصَّباحِ كفرتُ ثلاثًا
فعادتْ يدايَ سلامًا وبَردا

وخبَّأتُ ذاتي بجرحِ التُّرابِ
لأنبتَ بين الخمائلِ وردهْ
ويحلمُ طيرٌ طليقُ الجناحِ
بحبٍّ وعودهْ.

الجسد المُشِعّ

يَهُلُّ نَداكِ
في البيدِ الخَوالي
فَتَنْبُتُ فيَّ واحاتُ الجمالِ
ويسطعُ طيفُكِ السِّرِّيُّ حولي
فلا الأبعادُ تَحْجُبُ
واللَّيالي
وأَحْسَبُ في تَناجينا
كأنِّي سمعتُ اللهَ يهمسُ
في الأعالي.

٤٠

أنا عيناكِ وعدٌ وانتظارٌ
فلا أحظى
وأُمعِنُ في السُّؤالِ
أُيَمِّمُ للتَّناهي السَّمحِ وجهي
وللجسدِ المُشِعِّ
على رمالي.

أنا ما جِئتُ كي أُفْنَى ترابًا
أُحبُّ فلا أعودُ
إلى الزَّوالِ
بحبِّكِ ها هنا
أفرغتُ ذاتي
لتغمرَني الألوهةُ في المآلِ

موعد في المرجى

قصائد السَّراب

سفر

تقولينَ إنَّ البحارَ لِنَمضيْ
وإنَّكِ أنتِ السَّفَرْ
وأخلعُ عنِّي التُّرابَ وأمضيْ
ويسقطُ حولي القَدَرْ
وأشهدُ أنَّ المفازةَ تُطوى
وأنَّ المدائنَ تُبنى هناكَ
وتُمحى وجوهٌ

وتُرسَمُ منكِ الصُّوَرْ
فألبسُ ثوبَ البَهاءِ
وأُطلِقُ صَوبَ السَّماءِ
القَمَرْ.

موعد في المرتجى

... وسألتُ زهرَ الرَّوضِ
أين مكانُها؟
أَهيَ البنفسجُ في الحَنايا،
أم تُرى
هيَ زنبقٌ عند الضِّفافِ ونرجسُ؟
أَهيَ الشَّقائِقُ
والحدائِقُ في المدى
أمْ في التَّمَنِّي تُرتَجى أو تُعشَقُ؟

وسمعتُ مِن فوقُ السَّماءَ
تقولُ لي:
ليستْ تُرى
هيَ ما اصطَفَيتُ
فليسَ أنقى وأقدسُ،
هيَ في الضِّياءِ،
وفي البَهاءِ،
وفي الشَّذا،
هيَ زهرةٌ ملءُ الزَّمانِ،
فلا تُحَدَّدُ في المكانِ
وموعدٌ في المُرتَجى
لكنَّه لا يُلمَسُ.

توق إلى الأبهى

بدِّلي مِن حولِنا القبحَ جمالاً
وانشري النُّورَ
ففي دنياكِ قد حطَّ الرِّحالا
ودَعي الأنهارَ تُحيي
واحةَ الأمسِ
وبيداءَ الرَّمادْ
واستعيدي فُسحةَ الوردِ

فشَهرُ الوردِ
يُطوى ويُعادْ.

أرجعي الدُّنيا إلى الحبِّ
إلى آلهة الحبِّ خُذينا
أطلقي أشرعةَ البَحَّارِ فينا
واجعلينا جُذوةَ التَّوقِ إلى الأبهى
فنغدو في تَدانينا
احتراقًا وانصهارا.

أقفَرَتْ أروقةُ الدُّنيا
أعيدي
مهرجانَ الشَّمسِ
عيدَ الأرضِ

أوراقَ الشَّجَرْ
جدِّدي الدَّهشةَ فينا والسُّؤالا
واهرقي قارورةَ الطِّيبِ
فلولا قطراتُ الطِّيبِ
أضْحَينا رمالا...

الوصول إلى المستحيل

أحبُّكِ أنَّى تَغاوى الجمالْ
وأنَّى صَبوتُ وعزَّ المَنالْ
وأكتمُ عنكِ لواعجَ حبِّي
فما كلُّ ما في القلوبِ يُقالْ
كأنَّ الصَّحارى مَفازةُ عُمري
أمرُّ، فتُذري الرِّياحُ الرِّمالْ.

أبوحُ بصوتي الخَفيِّ
بصرخةِ صمتي القَصِيِّ
بأنِّي أحبُّكِ مِلءَ كياني

أحبُّكِ حتَّى تفجُّرِ ذاتي
فأغدو، وكلُّ زمانٍ زماني
فما كانَ ماضٍ وما كانَ آتِ
أتوقُ بحبِّي إليكِ
ويُضْرِمُ قلبي لهيبُ السُّؤالْ.

وأسألُ كلَّ زمانٍ
أَبعضُكِ شعرٌ؟
وبعضُكِ لحنٌ ونحتٌ وسحرٌ؟
وأرسمُ منكِ بريشةِ حبِّي
القِفارَ خَميلَهْ.

وأمضي
وتمضي الفصولُ

٥٠

وتدنو رياحُ الشَّمالِ ونمضي،
فما نحنُ بعدُ زمانُ التَّلاقي
وما نحنُ بعدُ زمانُ الفراقِ
ويبقى بصدري بواحٌ يُقالْ
وأسعى... وأسعى...
وأنتِ الرَّحيلُ
وأنتِ الوصولُ
وأنتِ المُحالْ.

أرجعيني

نعبرُ العمرَ
ولا ندري إذا كنَّا صُحاةً أم سُكارى
تُزهِرُ الدُّنيا حوالَينا صغارا
ويشيخُ الرَّوضُ فينا...
ينتهي الحبُّ
فنمشي، حيثما نمشي، حَيارى.

أرجعيني،
كي يعودَ العمرُ طفلا

٥٢

كي تذوبَ الوردةُ الحمراءُ في كفِّيَ
والأشواقُ حرَّى
أرتوي بالكوثرِ اللَّهَّابِ
قبلَ الغورِ، نهلا
لحظةٌ من حبِّكِ الغامرِ تُحييني
فتغدو اللَّحظةُ السَّمحاءُ دَهرا.

أرجعيني،
كي أرى الأشياءَ، أبهى
فأنا ما كنتُ مِنْ قَبلُ لأحيا
أرجعيني،
فيعودَ الكونُ، إنْ عُدتُ، انبِهارا.

قصيدة في السَّراب

قلتِ لي: في كلِّ آنٍ
ترتمي عيناكَ فِيَّا
فكأنِّي مِن كتابٍ رائعٍ للحبِّ
تَتلوني قصيدهْ
أو كأنِّي في إيابٍ مُتَتالٍ
أحملُ الدَّهشةَ مِن دُنيا فَريدَهْ.

قلتُ: إنَّ المرأةَ الأغلى بَهاءٌ
يملأُ الأرضَ جَمالاً وخُلودا

٥٤

نُنشِدُ الأسمى ويُغرينا سرابٌ
كلَّما نُدركُه يبقى سَرابا
منذ أنْ أُنزِلْتِ في الأسفار لغزًا
ما انثَنينا نقرأُ الحبَّ
قراءاتٍ جديدَهْ.

أمي بدلاك سفينتي

قصائد الأم والطفولة

عذراء لبنان

يا مريمُ
يا أمَّنا
يا زهرةً شذيَّةً من أرضِنا
تَمَسُّها أناملُ الرَّحمَنْ
فتَنحني طائعةً
ويَنحني أمامَها الزَّمانْ
يا أجملَ الآياتِ في الإنجيلِ والقرآنْ
يا حلوةً آتِيَةً
في الأرزِ مِن لبنان.

لِتَفرحي
يا مريمُ
نُوَزِّعُ الورودَ في السَّماءْ
نُعَلِّقُ النُّجومَ في قناطرِ المساءْ
ونَبتني على الذُّرى مَناسِكًا
لأنَّكِ المَليكةُ الفريدةُ البَهاءْ.

في عرسِ قانا
عندما باتَتْ كؤوسُ الخَمرِ لا تَجري
وقد مالَتْ إلى الحزنِ القلوبْ
هل تُعلَنُ البُشرى
وطَيفُ الله يَمشي خافِيًا
ما فوقَ هاتيكَ السُّهوبْ؟
تكلَّمي يا مريمُ

فتنتهي في أرضِنا الآلامُ والخُطوبْ
تشفَّعي يا مريمُ
فيستحيلُ الماءُ خمرًا في أجاجينِ الجنوبْ.

أجراسُنا يا مريمُ
تعانقُ الصَّلاةَ في المآذنْ
وفي المدى مآذنٌ
تعانقُ الاجراسَ في الدُّعاءْ.
فصوتُنا إلى العُلى موحَّدٌ
وأرضُنا، يا أمَّنا، واحدةٌ
وشعبُنا العبورُ واللِّقاءْ.

فبارِكي يا مريمُ
وجدِّدي البشارةَ المُضيئَةَ السَّمحاءْ

فإنَّما لبنانُنا عليَّةٌ
وإنَّما عذراؤه حرِّيَّةٌ
تَشِعُّ في أرجائِه
وتبتدي أزمنةُ الخلاصِ والرَّجاء.

أمِّي الألف والياء

أُمِّي،
وهل سَحَرَ البَيانُ عبارةً
تَسَعُ المدائنَ مثلَ أُمِّي؟
أُمِّي،
وتنطلقُ الجداولُ والعنادلُ
إنْ أنا ناجَيتُ أمِّي
أُمِّي، يسوعُ أتى بأبرادِ الثَّرى
لِيُناديَ العذراءَ كالأطفالِ: أُمِّي.

أُمِّي،
وأوغلُ في المكانِ وفي الزَّمانِ
وأظلُّ أُولَدُ في البشائرِ
كلَّما صوتٌ إلى الأمِّ دَعاني
وعلى تُرابي لا تمرُّ الشَّمسُ
لا يُجْنى الشَّذا والشَّهدُ
إلاَّ أنْ تُضيءَ الشَّمسَ أمِّي.

أُمِّي العبورُ مِن الضَّبابِ
إلى البداياتِ الجميلهْ
أُمِّي،
وينهمرُ الرَّبيعُ
على الضِّفافِ المستحيلهْ
أُمّي الإيابُ إلى مدًى لا ينتهي،

أُمِّي،
وفيها يقرأُ اللهُ فصولَه.

أُمِّي،
يقولونَ الجِنانَ
وما جِناني غيرُ أمِّي
أُمِّي،
وكَمْ ظهرَ الملاكُ على الدُّروبِ
بوَجهِ أُمِّي.

أُمِّي،
ويَسطَعُ كلُّ شعرٍ في لغاتِ الأرضِ
إنْ غنَّيتُ أمِّي
أُمِّي تضمُّ حروفُها

كلَّ الحروفِ،
فإنْ نَطَقتُ
وإنْ كَتَبتُ
فَبِاسمِ أُمِّي.

قطفت الأنجم الزرق

لكما الأجيالُ تُهدي
وردةً، مِن روضةِ الدَّهرِ، وفُلَّهْ
لكما تسترجعُ الأرضُ الجَمالاتِ الأُوَلْ
وتُحيِّي العيدَ أيدٍ
لوَّحَتْ منذ الأزَلْ
لكما الدُّنيا هُتافٌ
وضياءُ اللهِ شُعلَهْ

كلُّ شيءٍ لكما
للأمِّ
أنَّى كانتِ الأمُّ
ومِن أيَّةِ مِلَّهْ.

لكما العيدُ جمالٌ ورجاءْ
وملاكٌ يحملُ البُشرى ضياءْ
لكما مملكةُ الشِّعرِ
وعرشُ الزَّهرِ
قصرٌ في البَهاء.

وأنا كالطِّفلِ خبَّأتُ ابتهالاتي بقُبلَهْ
وقطفتُ الأنجُمَ الزُّرقَ
وَضَعتُ الشَّمسَ والبَدرَ بسَلَّهْ

ونسجتُ الشِّعرَ والأنغامَ حُلَّهْ
واستبَقتُ العيدَ أُهدِي
مَن هما حبِّي وهمِّي
زوجتي أمًّا
وأمِّي.

فيك كل الأمَّهات

أنتِ أمٌّ فاضَ منكِ الحبُّ
أم أنتِ صلاةْ
أم جَناحانِ مَلاكانِ ونورٌ
تَلِدينَ النُّورَ
تُعطينَ الحياةْ
أنتِ عينُ اللهِ لا تَغفو
وكلُّ البَرَكاتْ

أَتُرى قد جُمِعَتْ
فيكِ كلُّ الأمَّهاتْ.

كلُّ حرفٍ إذ تُناجينَ دُعاءْ
كلُّ خَفقٍ في حَناياكِ ابتِهالٌ ورجاءْ
كلَّما هَلَّ صباحٌ
كلَّما جَفَّتْ ينابيعُ العطاءْ
تُنزِلينَ النِّعَمَ السَّمحاءَ
تُدنِينَ السَّماءْ.

كي يَعُمَّ الحبُّ في الدُّنيا
ويَرعاها السَّلامْ
كي تَصيرَ الأرضُ أفراحًا
ويفترَّ الخُزامْ

كي يُضيءَ النَّيِّرانْ...
ويُفيضَ اللهُ، ما تَبغينَ
خيرًا وحَنانْ
تَجمعينَ الشَّملَ أجيالاً وأطفالاً
على مَرِّ الزَّمانْ.

ساره

إلى حفيدتي

وُلِدَتْ ترفلُ بالأنوارِ سارَهْ
فَرَسَتْ في مرفإِ العمرِ مَنارَهْ
وتَراءَتْ في سَمانا أَنجُمٌ
تَحمِلُ النُّعمى إلينا والبِشارَهْ.

أَمَلاكٌ حَلَّ، أم رؤيا انجَلَتْ
أمْ سحابٌ يسكبُ الماءَ نُضارا

طفلةٌ في بسمةٍ، نُغْنَى بها
تَشتهي أنْ نَعبرَ الدُّنيا صِغارا
جنَّةً صارَتْ، وفَيضًا من رؤًى
ولآلٍ في يَد الحُسنِ سِوارا
نَبتَني بيتًا لها مِنَ كوكبٍ
وبها نَبني مِنَ الحبِّ دِيارا

يا رَبيعًا جاءَ من أسطورةٍ
كلَّما عِشناهُ يَزدادُ اخضِرارا
فَهُنا وهجٌ، وغرسٌ، وجَنى
وهناكَ الوردُ يَزدادُ ازدِهارا
فانعَمي يا أمُّ قد نِلْتِ المُنى
وانتَشِ يا والِدًا منها انبِهارا

وافرَحي يا "كرمَ" ، يا جدَّتَها
كنتِ رمزَ الأمِّ، حبًّا لا يُجارى

فاكبري سارَهْ، بَهاءً مُنزَلاً
زنبقًا يَختالُ طيبًا ونَضارَهْ
أرزةً تَعلو، وتمضي في المَدى
ويظلُّ العمرُ وَعدًا وانتِصارا.

أجمل بشرى

إلى حفيدي

أتيتَ...
وكانَ الصَّباحُ البَهيُّ
يَزِفُّ الينا الخَبَرْ
أتيتَ...
وكانَتْ جِنانُ العَبيرِ
تَمدُّ وِشاحَ الزَّهَرْ

هَتَفنا...

فأنتَ الوليدُ الأميرُ
وأنتَ الضِّياءُ، وأنتَ السُّرورُ،
وأنتَ الأماني الدُّرَرْ.

وُلِدتَ فحَلَّ الرَّبيعُ الجديدُ
يطولُ... يطولُ، وتَزهو الصُّوَرْ
فقبلَكَ كنَّا زمانَ التَّرَجِّي
وبعدُ نَراكَ الفتى المُنتَظَرْ
وعَبرَ توالي اللَّيالي نُسامِرُ وَعدًا
يَهُلُّ... يَهُلُّ، وأنتَ المَطَرْ
فيبزُغُ نجمٌ
وتُشرِقُ شمسٌ
ونُبصِرُ خلفَ مَرايا الزَّمانِ
مَسارًا يَخُطُّ كتابَ القَدَرْ.

حفيدي
تقولُ القلوبُ بأنَّكَ فيها
تَدَفُّقُ حبٍّ، وفَيضُ حَنانٍ
وأجملُ بُشرى
تقولُ الورودُ بأنَّكَ روضٌ
وأكثرُ منهُ رُواءً وعِطرا
تقولُ القصائدُ إنَّك أرحبُ
منها بُحورًا وأروعُ شِعرا.

ونحنُ نقولُ: ستكبرُ فيكَ السُّنونُ
تُوهِّجُ عمرًا، تُعَتِّقُ خَمرا
وتجري كنهرٍ غزيرٍ
فَتَنمو الحياةُ على ضفَّتَيكَ
وتُبدِعُ سِحرًا

عيد الحب

ما تُرى قدْ جِئتَ تُهديني
وهذا العيدُ، عيدُ الحبِّ، عيدي؟
أين تلكَ الوردةُ الحمراءُ تُغريني
بآلافِ الوعودِ؟

قلتُ إنَّ الوردةَ الحمراءَ قلبي
وهدايا العيدِ حبِّي واشتِياقي
يَذبلُ الوردُ سريعًا

ويَزيدُ القلبُ نورًا
كلَّما ازدادَ احتراقي.

فاسكني فيهِ وثوري
يا لهيبًا في دمائي
واقطفي مِن روضِهِ الغَضِّ
مدى العمرِ
أزاهيرَ انتِشائي
كلُّ يومٍ أنتِ فيهِ
هو عيدُ الحبِّ
يأتي في البَهاءِ.

ثغران وقبله

وَتَلاقينا على بُعدٍ
فصارَ البُعدُ إشراقًا وقُرْبا
كلَّما تضطرمُ النِّيرانُ شرقًا
تستجيبُ النَّارُ غربا
حبُّنا يختصرُ الدُّنيا مكانًا وزمانًا
حبُّنا يبتدعُ الفردوسَ كلَّهْ
وبهِ تُلغى المسافاتُ
فيغدو الكونُ
ثَغرَينِ وقُبْلَهْ.

هواك الذرى

سيبقى حبُّنا الأبديُّ أقوى
مِن الشَّكِّ المُدَمِّرِ والأيادي

ومهما شِئْتِ أنْ تَنأَيْ فإنِّي
مُقيمٌ في هواكِ على الودادِ

ويسكنُ في ذرى عَينَيكِ عمري
ويهزأُ بالسُّفوحِ وبالوهادِ

وأنشرُ حبَّكِ الخَمريَّ شِعرًا
تُناقلُهُ الرَّوائِحُ والغَوادي.

نشوة

لا تقولي بدَّدَ الدَّهرُ غرامي
أنتِ في الأعماقِ شوقي واضطِرامي

كلَّما مَرَّ على حبِّي زمانٌ
زادَ حبِّي وعَلا فيَّ هُيامي

وإذا ما لَفتَةٌ منكِ احتوَتْني
خِلْتُ أنَّ النُّورَ يَمشي في ظَلامي

أوْ سكَبتِ الوَجْدَ خَمرًا في عروقي
جُنَّ عمري، وانتَشَتْ فيَّ عظامي.

سفر في المدى

نصرع التنين

أَمطِري ما شِئتِ
نارًا وحِمَمْ
واجعَلي جَنَّاتِنا الغَنَّاءَ
تَجري تحتَها الأنهارُ
مِن دمعٍ ودَمْ
لا نُبالي...
يسقطُ السَّيلُ إلى القَعرِ

وتَبقى في أعاليها القِمَمْ
نحنُ كنَّا
نصرعُ التِّنِّينَ بالحبِّ
ونبقى
نصرعُ التِّنِّينَ بالحبِّ
ولو بِتْنا
رِمَمْ.

نكون ترابًا وماء

تفيضُ مآقي السَّماءِ
فَيَنبُتُ بين الصُّخورِ البنفسَجْ
وتولَدُ في كلِّ قفرٍ حياةٌ
فثمَّةَ زهرٌ وأرزٌ
وثمَّةَ شوكٌ وعوسَجْ.

وتُشرِقُ شمسُ الصَّباحِ
ففَوقَ رؤوسِ الجبالِ

بَهاءُ ضِياءٍ تَوَهَّجْ
وعند السُّفوحِ ربيعٌ وروضٌ
وصيفٌ ونَورَجْ
وفوقَ رمالِ الصَّحارى
لهيبُ الجحيمِ تأجَّجْ.

نكونُ ترابًا وماءً
فينفخُ فينا الإلهُ ونَحيا
فبعضُ الخَليقة يغدو إلهًا
وبعضٌ يعيشُ ترابًا ويَفنى
فليسَ الإلهُ يعودُ فيأتي
وليستْ خيوطُ الحياةِ تعودُ فتُنسَجْ.

سفن في المدى

أنا نهرٌ
أفيضُ على ضفافٍ
وأمضي ساكِبًا في اليَمِّ غمري
فلستُ الماءَ يركدُ في سهوبٍ
ولستُ المُزْنَ تسقطُ فوقَ صَخْرِ.

أنا بعضي الجَنى
والبعضُ روضٌ
وسفنٌ في المدى والنُّورِ تَجري.

إختراق

أغامرُ صوبَ أبعادٍ جديدَهْ
وأرسمُ في الذُّرى والشَّمسِ حلمي
وأخفقُ...
فالمتاهاتُ سَرابٌ
ووَهْمٌ فيَّ يَسقطُ
إثرَ وَهْمِ.

أحاولُ...
والمحاولةُ اختراقٌ

وحَسْبي أنْ يَمسَّ الغيبَ سهمي
وإنِّي كلَّما طاولتُ نجمًا
ليَبقى الصَّعبُ والإبحارُ هَمِّي.

أطلقوا الفينـيق

تَعِبَ الفينيقُ منَّا
مَلَّ شعبًا يهدرُ العمرَ دَمارًا فدَمارا
آيةٌ أنْ نصرعَ الموتَ بوَطءِ الموتِ حينًا
وبما يبتدعُ العقلُ مِرارا.

نفتحُ الأبوابَ للحبِّ
نصونُ الحقَّ، إنْ شِئنا انتِصارا

قدْ دُعينا، منذ كانَ البَدءُ، كي نَحيا
وكيما نملأَ الأرضَ بَهاءً وازدِهارا
لا لِنَفنى
أو نظنَّ الدَّربَ للخُلدِ انتِحارا.

الحضاراتُ حوارٌ وسلامٌ
لا سيوفٌ ودماءٌ وصِدامُ
تَتركُ الحربُ على التَّاريخِ جُرحًا أبديًّا
وتُحيلُ النُّورَ نارا.

فَدَعوا الفينيقَ يَمضي
ذَهَبيَّ الصَّوتِ
ما فوقَ جِنانٍ ومَدائِنٍ
أطلِقوهُ

وانفضوا عن وَجهِ لبنانَ رمادًا وغبارا
واحفظوهُ
وَحدَه لبنانُ يُفدى
واستَفيقوا
جسَّدَ الفينيقُ للأجيال حلمًا
مستحيلاً... وتَوارى.

ذبحوا الأطفال في قانا

هل إلى قانا مَسيحًا ستعودُ
تهتفُ الأرضُ إذا جِئتَ
ويَعلو في السَّماواتِ النَّشيدُ.

قدْ أحَلتَ الماءَ خَمرا
وكَسوتَ الرَّوضَ زَهرا
وأرَدْتَ العرسَ في لبنانَ دَهرا

فأرادوا أنْ يَعمَّ الرُّعبُ،
أنْ تسحقَنا الحربُ
ويُمسي
جبلُ الرَّيحانِ والزَّيتونِ
نارًا وخرابا.

ذبحوا الأطفالَ في قانا
وكانتْ خفقةٌ مِن مُهجَةِ الظُّلمةِ ألقَتْ
فوقَ مأواهم، لكي يَخفَوا، جناحا
فاستباحوا اللَّيلَ تدميرًا وقتلاً وجراحا
لمْ يتركوا للفَتكِ بالإنسانِ في الدُّنيا سلاحا.

ذبحوا الأطفالَ، ظنُّوا بعدَهم
سيسودُ العقمُ،
والإعصارُ يجتاحُ الدِّيارا

ما دَرَوا أنْ حبَّةَ الحنطةِ تغدو الخِصْبَ
في آنِيَةِ الحُبِّ البذارا.
لستُ أخشى
فيَدُ الرَّحمَنِ أقوى
والفِداءُ الحقُّ يُهدينا السَّبيلا
فيعودونَ... وتأتي...
ويفرُّونَ... ونبقى...
نستعيدُ الشَّمسَ أنقى
نملأُ الأجرانَ في قانا مياهًا
فَتُحيلُ الماءَ خمرا
وَتَفيضُ التُّربةُ الحمراءُ أطفالاً وبُشرى
تستفيقُ الأرضُ، نَحياها، ونَشقى
ليَظَلَّ الحقُّ في لبنانَ إشراقًا وخَلقا.

عشرة أعوام

عن الفرنسيَّة، للشَّاعِر جان سالمه، بتصرُّف.

عشرةٌ مرَّتْ، وجرحي ما اندَمَلْ
عَجَبًا، مَن قالَ أحيا
بعدَ إعصارٍ جَلَلْ؟
كلُّ شيءٍ يَنتهي، كلُّ شيءٍ يَنطوي
وَحدَه الحبُّ... فلا يُطوى
ويبقى في تَلاوينِ الأزَلْ.

كان عهدًا من صفاءٍ ملءَ أيَّامي الجميلَهْ
وانتِشاءً وِسْعَ أفراحي وأمجادي الخضيلَهْ
عهدَ صَحوٍ وشُموسٍ.
كان يكفيني ارتِماءٌ
عَبْرَ عينَيها الذَّهَبْ
كان يكفيني ابتِسامٌ
فيهِ أغدو مثلما الخَمرُ انسكَبْ
فهناكَ الحلمُ قد كانَ، ومُلْكي، والأَرَبْ.
أمسِياتٌ كنتُ فيها أَحمِلُ الوَهْنَ
وأشلاءَ الرُّجولَهْ
فتُلاقيني بوَجهٍ طافِحٍ بالبِشرِ، يُحيي
في انهزاماتي البُطُولَهْ
تلكَ أوقاتٌ مَجيداتٌ وفيها

ذُقْتُ أشهى الطَّيِّباتْ
كلُّ شيءٍ كان يُغري
كانَ مِن حَولي خَمِيلَهْ.

أين تلكَ اللَّحظاتُ النَّيِّراتُ الشَّارِداتْ
هل تُراها احتُجِزَتْ في حَنايا الأمسِ
في كهفِ الحياةْ؟
فاذكُري يا هذه الأشياءُ مَنْ كُنتِ لها
مَجلسًا فيه التَّلاقي والهَناءْ
واشهَدي في صمتِكِ الدَّاوي
فقد كُنتِ الوفاءْ.

وأنا في أمسِيَ المَسحورِ طيفٌ لا يَنامْ
فهُنا خبَّأتُ كنزي وفؤادي المُستَهامْ

أبدًا لستُ بِناسٍ
حبِّيَ اللاَّ يَحتويهِ الحبُّ أو سِحرُ البَيانْ
كلُّ شيءٍ كانَ نُعمى
كان وَهجًا وسُموًّا
لا يُدانيه مَقامْ.

تِلكُمُ الأيَّامُ، هلاَّ عُدتِ آمالاً وسَعْدا
كان قلبانا لَصيقَينِ صباحًا ومساءْ
كنتِ يا سُلطانتي
كنتِ يا قدِّيستي
كنتِ، يا حبًّا تَرامى للأبدْ،
جُذوةً أرنو إليها
خاشِعًا أشتاقُ عينَيها
وأحيا في البَهاءْ.

فاحرُسيني يا ملاكي
لن يصيرَ النَّأْيُ بُعدا
واعلَمي، إنْ تترُكيني
يُصبحُ الكونُ هَباءْ.

أينَ تلكَ الأمسياتُ الضَّاحِكاتْ
والحواراتُ الأُخَر.
أينَ أعيادٌ تجلَّتْ ذُروةُ الأفراحِ فيها
وتخطَّى الحلمُ أحلامَ البَشَرْ

فاسطَعي يا شمسُ، يا جنِّيَّتي البيضاءَ
يا نجمًا تلالا في دياجيرِ الجَلَدْ
واعضدي إبنَكِ، أمِّي،
إنَّني لَو شِخْتُ، يا أمِّي، بعَينَيكِ ولَدْ.

بيروت الطفولة

عن الفرنسيَّة، بتصرُّف.

بيروتُ يا أسطورةَ الرِّياحْ
يا درَّةَ الشَّرقِ الأصيلَهْ
يا زورقي في رِحلتي المُثيرَهْ
يا مرفإِي، في عودتي الكبيرَهْ
بيروتُ يا مدينتي الجميلَهْ

أغفو على الآذانِ
إذ تدنو تباشيرُ المساءْ

أصحو مع الأجراسِ
في الصُّبحِ الذي لاقى السَّماءْ
أعودُ من مدرستي المُضيئةِ، المُسَوَّرَهْ
بحبِّنا، بزهرةِ المدينةِ المُنَوَّرَهْ
أضمُّها في جعبتي، لغاتِنا العديدَهْ
بصوتها أسبِّحُ الحرِّيَّةَ الفريدَهْ

في ساحةِ الأعيادِ في أنشودةِ الآحادْ
نأتي مع الحبِّ الذي يزيِّنُ الأولادْ
فنلتقي، وتنتهي همومُنا الصَّغيرَهْ
نُذيبُها كالثَّلج في أفواهنا النَّضيرَهْ
وتُنتسى أوقاتُنا وذاتُنا في لَهونا
نكادُ ننسى في الأماسي أنْ نُلاقي أهلَنا

ولمْ أزَلْ صغيرةً بريئةً نحيلَهْ
لكنَّني سعيدةٌ في جنَّتي الظَّليلَهْ
لن يسرقوا أحلامَنا، لن يصنعوا منَّا كِبارا
نحيا مدى ما شاءَنا اللهُ صِغارا
لا، لن يمسُّوا طفلَنا، فبيتُنا الفضيلَهْ
وهمُّنا أنْ نلتقي، أن تفرحَ الطُّفولَهْ

الثقافة بالمَجَّان

سلسلة كتب أدبيَّة مجَّانيَّة أسَّسَها *ناجي نعمان* عامَ ١٩٩١ وما زالَ يُشرفُ عليها

Ath-Thaqafa bil Majjan

Série littéraire gratuite établie et dirigée depuis 1991 par

Free of charge literary series established and directed since 1991 by

Serie literaria gratuita establecida y dirigida desde 1991 por

Naji Naaman

Raymond Azar

'UBURUN *ILAL* BAHA'

عُبورٌ إلى البهاء

Mai 2009

© ***Tous droits réservés*** **– All rights reserved –** ***Todos los derechos reservados*** - ألحقوقُ مَحفوظة

Maison Naaman pour la Culture & www.najinaaman.org